المدارس في عهد الصحابة رضي الله عنهم

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: عبد الرشيد البستوي أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند

الصحابة لا يأخذون الأجر على التعليم:

لما ولي عمر بن الخطاب ﷺ الأمر أنشأ كتاتيب يتعلم فيها الأطفال الدين وتعاليمه، وعين فيها معلمين على رواتب سنوية، غير أن حلقات الصحابة الدراسية ومجالسهم التعليمية كانت التعليم فيها مجانًا مأة في المأة يبتغون من وراء ذلك وجه الله تعالى، انطلاقًا من قوله ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ ولم تكن لهم رواتب شهرية ولا سنوية، وما عين عمر بن الخطاب ﷺ الرواتب من بيت المال إنما المال يكفيه ولعياله ويقتنع به في كل ما يقوم به من خدمات أخرى، فلم يكن هناك مرتب علاحدة لإمارة المدن وإمارة الجهاد والقضاء والإفتاء وتعليم علوم الدين وغيرها من مناصب دينية أخرى.

وكان من بين الصحابة من يكرهون أن يأخذوا مرتبًا أو أجرًا على خدماتهم، ومنهم من يأخذ أقل مما تعينه لهم الحكومة، وأنى لهم أن يأخذوا أجرًا على وظيفة الدعوة إلى الدين، وتعليم العلوم الدينية، وإنما كانوا يدفعون إلى الطلاب أموالهم وينفقون عليهم من عند أنفسهم، ويجعلون لهم جزءًا من أموالهم، فهذا ابن عباس ﷺ قال لتلميذ له يسمى أباجميرة: عش معي ذلك حصة من مالي.

وقال أبو الدرداء ﷺ لأهل دمشق يرغبهم في الحصول على علوم الدين: «ما يمنعكم من مودتي وإنما مؤنتي على غيركم»[1].

اللهم! إلا أن عمر بن الخطاب ﷺ أعطى مرة الأمراء والولاة وأصحاب المناصب الأخرى في الإمارة الإسلامية زيادة على رواتبهم المعينة، وإنه بعث عمار بن ياسر إلى الكوفة أميرًا عليها، وعبد الله بن مسعود معلمًا لأهلها ووزيرًا، كما بعث معهما عبد الله بن حنيف يمسح أراضي العراق رضي الله عنهم، وأمر لهم جميعًا بشاة كل يوم، فكان يأخذ منه نصف لحمه عمار بن ياسر،

---

[1] صفة الصفوة: ٢٥٨/١.

وربعه ابن مسعود، وربعه الأخر عبد الله بن حنيف[1]، وكان عمر بن الخطاب قد جعل ذلك لهم من عند نفسه وفق ما رآه صوابًا وحقًا، بدون أن يطلبه أحد منهم أو سألوه إياه.

وكان ابن مسعود ﷺ لم يأخذ من مرتبه السنوي خمسة عشر ألف درهمًا من بيت المال، فلما توفي قدم زبير بن العوام وهو وصي ابن مسعود على عثمان بن عفان رضي الله عنهم وقال له: ادفع إلي دراهم ابن مسعود، فإن أهله أحوج إليها من بيت المال، فدفع إليه عثمان خمسة عشر ألف درهم[2]. فمن كان شأنهم أنهم تركوا أموال رواتبهم في البيت وما أخذوا منه لحوائج لهم فما ظنكم بهم في أخذ الأجر على القيام بخدمات في مجالات الدين وتعليمه والدعوة إليه؟

الصحابة يبتغون وجه الله في التعليم والرواية:

إن الخدمات الجبارة التي أسداها الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين في ميادين التعليم والدعوة كانت قمة في الإخلاص لا تشوبها رياء وسمعة. ولا يتسرب إليها شك وريبة، ولأجل ذلك قد أجمعت الأمة كلها على أن «الصحابة كلهم عدول» فهم كانوا عدولا، ثقات وأثباتًا بكل معاني هذه الكلمات بالرغم من أنهم كانوا بشرًا يمتلكون صفات بشرية وخصائص إنسانية، فيمكن أن يصيبهم الذهول والنسيان أو الخطأ أو الوهم وفقًا لإيحاء من المتطلباب البشرية، وكانوا لا يرون بأسًا من الاعتراف بذلك كله، والامتناع عن التحديث، والاعتذار عن الرواية، وإذا حدثوا رواية عن رسول الله ﷺ حدثوا بكل حذر وحيطة.

فذهب كل من يزيد بن حيان وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ﷺ وقالوا له: حدثنا ما سمعته من رسول الله ﷺ فقال لهم زيد بن أرقم: يا ابن أخي! لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفوا فيه[3].

ويقول عبد الرحمن بن أبي يعلى: قلنا لزيد بن أرقم ﷺ: حدثنا عن رسول الله ﷺ فقال: قد كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله ﷺ شديد.

ويروي علاء بن سعد بن مسعود أن رجالا قالوا لأحد من أصحاب الرسول ﷺ: لماذا لا تحدث أنت مثل ما يحدث فلان وفلان؟ فأجابهم قائلا: «ما بي أن لا أكون سمعت مثل ما سمعوا، أو حضرت مثل ما حضروا، ولكن لم يدرس الأمر بعده والناس متماسكون، فأنا أجد من يكفيني،

---

(1) طبقات ابن سعد: ٦/ ١.

(2) فتوح البلدان، ص: ٤٤٧.

(3) رياض الصالحين، ص: ١١٠، ط: الهند.

وأكره التزيد والنقصان في حديث رسول الله ﷺ[1].

وهكذا كان دأبهم في الفتيا، فكانوا يحبون أن يفتي عالم آخر، فلم تنقصهم شائبة من الكبر أو الادعاء.

صحابة كرام تشرفوا بشهادات من المدرسة النبوية:

من المعلوم حقًا أن الصحابة كلهم كانوا منارات إرشاد وهداية، حاملين علوم النبوة وناشريها في العالم كله، فقال رسول الله ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» غير أن رجالا منهم قد برزوا في علوم مختلفة ومهروا فيها، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في خصوص ذلك، وأمر المسلمين بأن يأخذوا عنهم علومهم ومعارفهم: فقال: اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر، وقال: خذوا القرآن عن هؤلاء الأربعة: عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وقال: من سره أن يقرأ القرآن غضًا طريًا فليقرأ كما يقرأ ابن أم عبد [عبد الله بن مسعود] وقال: أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ونعم ترجمان القرآن ابن عباس، وإن أبا موسى الأشعري قد أعطي مزمارًا من مزامير آل داود، وقال: أقضاهم علي بن أبي طالب، وأعبدهم لله أبو الدرداء، وهو حكم هذه الأمة، وأقرأهم أبي بن كعب، وإن أبا ذر الغفاري أصدق من تقله الأرض وتظل عليه السماء، كما قال: إن عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة[2].

وكان التابعون رحمهم الله تعالى يقصدون إلى حلقات الصحابة ومجالسهم منطلقين من طبائعهم وهواياتهم ورغباتهم وميولهم، فيقول عبد الرحمن بن زيد النخعي: حضرنا نحن الطلاب مجلس حذيفة بن اليمان ﷺ وقلنا له: أخبرنا عمن هو أشبه برسول الله ﷺ منكم في مشيته، وحليته، وعادته، وخلقه لنأخذ عنه العلم، فقال: إن أقربنا من رسول الله ﷺ سيرةً وصورةً ومشيةً وعادةً ابن مسعود، وقد علم الأجلة من الصحابة أنه أقرب إلى الله تعالى[3]. ※

﴿المتبع﴾

---

[1] الكفاية في علم الرواية، ص: ١٧١–١٧٤.

[2] بتغيير يسير في ألفاظ الروايات.

[3] الإصابة: ٣/ ٢٨٨، ط: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. ونص الرواية: حدثنا بأقرب الناس من رسول الله ﷺ هديا ودلا فنأخذ عنه ونسمع منه؟ قال: «كان أقرب الناس هديا ودلا وسمتا برسول الله ﷺ ابن مسعود حتى يتوارى منا في بيته، ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله ﷺ أن ابن أم عبد هو من أقربهم إلى الله زلفى. أخرجه الترمذي بسند صحيح. [ع، ر، البستوي].

المدارس في عهد الصحابة رضي الله عنهم

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: الشيخ عبد الرشيد البستوي°

حملة العلم ومعلّموه:

كان كل رجل من أصحاب النبي ﷺ الذين فاق عددهم مائة ألف والذين أكرمهم الله تعالى برؤية نبيه وزيارته والرواية عنه: داعيًا إلى الدين ومعلمًا له، وكان رجال منهم يحتلون مكانةً مرموقةً في علوم الدين يرجع الناس إليهم، هذا وقد شهد لهم بذلك رسول الله ﷺ. فجعلهم الصحابة يقتدون بهم ويعملون بفتاواهم. ومن بين من تخرجوا في المدرسة النبوية أبوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم يقومون بخدمات الفتيا في عهد الرسالة. كما كان هناك صحابة آخرون من دونهم يمتلكون مكانةً بارزةً في علوم الكتاب والسنة والفقه والفتيا ويسدون خدمات في تعليم علوم الدين، ورواية الأحاديث، والتفقيه في الدين وذلك في عهد الصحابة، واشتهر من بينهم من يرجع الناس إليهم في أمور دينهم: علي بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن سلام، وأبو ذر الغفاري، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة، وأم سلمة من أمهات المؤمنين، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن الزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم أجمعين. فكان هؤلاء الأصحاب حملة علوم الدين من الحديث والفقه وناشريها.

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يجمع الأنصار والمهاجرين يستشيرهم في أمور دينهم، وكان

° أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

من أبرزهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت ﷺ.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يستشير إضافةً إلى أصحاب الشورى له معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس والشبان من الصحابة ﷺ، وهؤلاء هم الذين كان الناس يسألونهم ويرجعون إليهم في عهد إمارة عثمان بن عفان في أمور دينهم.

هذا وكان الصحابة يشهدون لمن سواهم من إخوتهم بمكانتهم العلمية وخصائصهم البارزة ويأمرون تلامذتهم بأخذ العلم عنهم، فسئل معاذ بن جبل ﷺ عند ما احتضر عمن يأخذ الناس العلم بعدك؟ فقال: خذوا العلم من بعدي عن أبي الدرداء، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام ﷺ، وقال عمر بن الخطاب ﷺ وهو يخطب في «الجابية»: من رغب في الفرائض فليذهب إلى زيد بن ثابت، ومن أراد الفقه فليقصد معاذ بن جبل، ومن طلب المال فليجئ إلي، وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: إن عمر بن الخطاب قد ذهب معه بتسعة أعشار العلم، وقال: لو وضع علم عمر في كفة وعلم الآخرين في كفة أخرى لترجحت كفة عمر، وقالت عائشة الصديقة رضي الله عنها: كلما أشكل حديث نبوي على أصحاب النبي ﷺ ثم سألنا عنه عائشة وجدنا علمه لديها، وقال: إن الجلوس في مجلس عبد الله بن مسعود خير عندي من عمل سنة، وقال مسور بن مخرمة ﷺ: إن علم أصحاب النبي ﷺ ينتهي إلى الستة هؤلاء: عمر وعثمان وعلي ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب ﷺ (١).

وها إليكم تصريحات من علماء التابعين في شيوخهم وأساتذتهم، فيقول مسروق بن الأجدع من أجلة التابعين: إن عمر وعليًا وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبا موسى الأشعري كانوا أصحاب فتيا من بين الصحابة، ويقول: إني قد أخبرت حقًا كل رجل من أصحاب النبي ﷺ فوجدت أن علمهم جميعًا ينتهي إلى ستة: عمر وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وزيد بن ثابت، ولما اختبرت حقًا هؤلاء الستة وجدت أن علمهم ينتهي إلى رجلين منهم: علي وعبد الله بن مسعود.

وقال الشعبي: إن العلماء في هذه الأمة بعد وفاة النبي ﷺ ستة: عمر وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري، وقال مجاهد بن جبر: إن العلماء هم أصحاب محمد ﷺ، وقال محمد بن سيرين: إن أهل العلم يرون أن عثمان بن عفان ؓ كان أعلم بمناسك الحج ثم عبد الله بن عمر، وقال ميمون مهران: ما رأيت أفقه من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس ؓ أجمعين.

ويمكن أن نجمع مرويات العلماء من الصحابة وأقوالهم وآراءهم وفتاواهم في مجلدات ضخمة، وبما أن التدوين لم يكن منضبطًا في عهد الصحابة بل وكان بعض الصحابة وتلاميذهم يكتبون صحيفة يرجعون إليها عندما ينسون شيئًا فلم يأت تدوين فتاواهم وأقوالهم، وإنما التفت المسلمون إلى ذلك بعد، فجمع أبوبكر محمد بن موسى بن يعقوب بن مأمون الرشيد فتاوى ابن عباس في عشرين مجلدًا.

ثلاثة مذاهب فقهية بالمدينة المنورة:

وبالرغم من أن الصحابة كانوا يسدون خدمات تدريس علوم الدين في حلقاتهم، غير أن رجالا منهم كانوا يمتلكون منصب الإمامة في علوم الدين نظرًا إلى خصائصهم وجامعيتهم وتلقت الأمة مذاهبهم الفقهية والحديثية قبولا عامًا، كما قام تلاميذهم بنشر مذاهبهم هذه.

فيقول الإمام علي بن عبد الله المديني من شيوخ الإمام البخاري المتوفى عام ٢٣٤هـ:

لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ من له أصحاب يذهبون مذهبه، ويفتون فتواه، ويسلكون طريقته إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس(٢).

وقد فصل ذلك العلامة ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين حيث قال:

والدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب عبد الله بن مسعود وأصحاب زيد بن ثابت وأصحاب عبد الله بن عمر وأصحاب عبد الله بن عباس، فعلم الناس عامةً من أصحاب هؤلاء الأربعة، فأما أهل المدينة فعلمهم عن أصحاب زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر، وأما أهل مكة فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن عباس، وأما أهل العراق فعلمهم عن أصحاب عبد الله بن مسعود(٣).

ومفاد ذلك أن مذاهب هؤلاء الثلاثة أو الأربعة في الفقه والرواية نالت رواجًا وقبولا في الأمة. وأما من سواهم من الصحابة فلم تنتشر أقوالهم وآراؤهم إلا قليلا.

ومن المعلوم أن عددًا كبيرًا ممن ورثوا علم النبوة قتلوا في الغزوات والحروب في عهدي النبوة والخلافة الراشدة، وقد بعث كثير منهم إلى مدن إسلامية أمراء وقضاةً ومعلمين، على حين رجع رجال منهم إلى قبائلهم ومناطقهم. هذا وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى طبقة غير قليلة قبل أن يعلموا الناس شيئًا، فمن بقي آنذاك بالمدينة المنورة ومن أرسل إلى مناطق أخرى كانوا خلاصة الخلاصة. فأصبحت المدينة المنورة مركزًا علميًا ودينيًا عملاقًا في العالم الإسلامي.

المعلمون من الصحابة:

كما قد عرف آنفًا أن الصحابة كلهم لم يكونوا معلمين. وإنما كان طبقة خاصة منهم مرجعًا في ذلك. وهم الذين كانت لهم حلقات ومجالس كما ذكره العلامة ابن خلدون:

ثم إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصًا بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ومحكمه، وسائر دلالته بما تلقوه من النبي ﷺ، أو ممن سمعه منهم من عليتهم. وكانوا يسمعون لذلك القراء الذين يقرؤون القرآن(٤).

وكما عرف فيما سبق أن النبي ﷺ أشار إلى القراء العلماء من الصحابة وأمر الناس بأخذ العلم عنهم، فأقام هؤلاء حلقات ومجالس لتعليم الدين بعد أن توفي النبي ﷺ، وانتهت إليهم الرئاسة والمرجعية في الدين وعلومه في أوساط الأمة كلها، فانقطع طبقة كبيرة منهم إلى التعليم والتعلم بالمدينة المنورة التي كانت مركزًا للإسلام ودارًا للخلافة، على حين عقد كثير منهم حلقاتهم الدراسية في كل من مكة المكرمة والكوفة والبصرة والشام ومصر وما إليها من مناطق ومدن إسلامية، وكانت هذه الحلقات كلها مرتبطة بمدرسة المدينة المنورة. {يتبع}

---

(١) إعلام الموقعين، وطبقات ابن سعد، وعلل الحديث، ومعرفة الرجال.

(٢) كتاب علل الحديث ومعرفة الرجال، ص: ٤٣.

(٣) إعلام الموقعين: ١/ ١٦.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص: ٣٨٤.

المدارس في عهد الصحابة رضي الله عنهم

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: الشيخ عبد الرشيد البستوي*

حلقة أبي بن كعب رضي الله عنه:

كان أبي بن كعب النجّاري الأنصاري رضي الله عنه كاتبًا للوحي، وجامعًا للقرآن، يلقب بـ «سيد القراء»، شهد العقبة الثانية كما شهد الغزوات كلها بما فيها بدر مع رسول الله ﷺ، وقد قال له النبي ﷺ: «ليهنئك العلم أبا المنذر»، [هذا وكان عمر بن الخطاب قد اختاره إمامًا لصلاة التراويح بالمسجد النبوي في عهده] وقال ﷺ: «اقرؤوا القرآن عن أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وقال: أقرأ أمتي أبي بن كعب»، وكان قد جمع القرآن في عهد النبوة هؤلاء الأربعة من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد رضي الله عنهم.

ذات مرة قال له النبي ﷺ: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقال: هل سمّاني؟ قال: نعم، فذرفت عيناه، ثم قرأ عليه النبي ﷺ سورة «لم يكن الذين كفروا»(١). وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصفه بسيد المسلمين، ويقول: أقرأنا أبي، كما كان يستشيره في معقدات الأمور في عهد إمارته، ويخضع لما يحكم به أبي بن كعب(٢).

كان أبي بن كعب رضي الله عنه يعرف القراءة والكتابة في أيام الجاهلية، وكان كل من أبي بكر وأبي بن كعب وسعد بن عبادة رضي الله عنهم يعلم أصحاب الصفة والوفود والأجانب القرآن الكريم، فكان وفد غامد يضم عشرة رجال، وكانوا قد أقاموا بالبقيع، وجاء

---

* أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

فيهم أنهم أتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآنًا.

كما جاء في رَحَّال بن عُنفُوَة من وفد بني حنيفة: وكان رحّال بن عنفوة يتعلم القرآن من أبي بن كعب.

وكان عثمان بن أبي العاص الثقفي أصغر وفد ثقيف، فكان أعضاء الوفد يتركونه عند متاعهم يحفظه، فإذا نام الوفد في الظهيرة قدم على النبي ﷺ يتعلم منه الدين والقرآن، وإذا وجده نائمًا عمد إلى أبي بكر وأبي بن كعب يستقرأهما القرآن والدين، «وإذا وجد رسول الله ﷺ نائمًا عمد إلى أبي بكر فسأله واستقرأه، وإلى أبي بن كعب فسأله واستقرأه»(٣).

ويقول جابر أحد من الرواة: إني دخلت على عمر بن الخطاب في حاجة، فرأيت في جانبه رجلا أبيض الشعر يرتدي ملابس بيضاء يقول له: لنا في الدنيا بلاغ وزاد للآخرة، وإننا نجد جزاء عملنا في الآخرة، فقلت: يا أمير المؤمنين! من الرجل؟ قال: هذا سيد المسلمين أبي بن كعب، وذات مرة قال أبي لعمر: يا أمير المؤمنين! لماذا لا تجعلني عاملا وأميرًا على مدينة؟ فقال له عمر: إني لا أحب أن أكدر دينك.

وكان في أبي بن كعب شيء من الشدة والحدة، فيقول زر بن حبيش: إني قلت له: يا أبا المنذر! عليك اللين واللطف، فإني أريد أن أنتفع بك في الدين، ويقول مسروق بن الأجدع: سألت أبي بن كعب عن أمر فقال لي: يا ابن أخي! هل وقع الأمر؟ قلت: لا، فقال: إني أجتهد برأيي في الأمر بعد أن وقع.

وكانت تعقد بالمسجد النبوي في عهد عمر بن الخطاب حلق ومجالس دراسية يحضرها الطلاب من أداني البلاد وأقاصيها يركبون المطايا، ويتحملون متاعب السفر، وينفقون النفقات الباهظة، وكان فيها حلقة لأبي بن كعب يحضرها الطلاب من خارج المدينة بوجه خاص، فيقول جندب بن عبد الله البجلي: أتيت المدينة ابتغاء العلم، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ، فإذا الناس فيه حلق يتحدثون، فجعلت أمضي الحلق، حتى أتيت حلقة فيها رجل شاجب عليه ثوبان كأنما قدم من سفر، قال: فسمعته يقول: هلك أصحاب العقدة ورب الكعبة، ولا آسي عليهم أحسبه قال مرارًا: قال: فجلست إليه فتحدث بما قضى له، ثم قام.

المدارس في عهد الصحابة رضي الله عنهم

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: الشيخ عبد الرشيد البستوي*

حلقة عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

كان عبادة بن الصامت ﷺ نقيبًا لقبيلته في بيعة العقبة، شهد بدرًا والمشاهد كلها بعدها مع رسول الله ﷺ، كما عين أميرًا للعساكر في فتح مصر، كما كان من بين من جمعوا القرآن في عهده ﷺ، وكان قد عينه أبو عبيدة أميرًا على «حمص» ثم لم يلبث أن عين مكانه عبد الله بن قرط ﷺ أجمعين.

وقد جرى بين معاوية وعبادة بن الصامت كلام في الفرار من الطاعون، فقام معاوية على المنبر بعد العصر وقال: الحديث كما حدثني عبادة، فاقتبسوا منه فهو أفقه مني.

وهكذا جرى بينهما كلام في أمور أخرى، فاتفق معاوية مع عبادة بن الصامت رضي الله عنهما في كثير منها، واختلف في بعض منها، وكان عبادة لا يخاف لومة لائم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا وإنه أول من عين قاضيًا في فلسطين.(١)

وكان عبادة بن الصامت يعلم في عهده ﷺ مثل أبي بن كعب رضي الله عنهما أهل الصفة والوفود القادمة إلى المدينة المنورة القرآن والتفقه في الدين.

يقول عبادة بن الصامت: علّمتُ ناسًا من أهل الصفة الكتاب القرآن، فأهدى إليّ رجل منهم قوسًا فقلت: ليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله عز وجل، لآتينّ رسول الله ﷺ فلأَسألُنّه فأتيته، فقلت: يا رسول الله، رجل أهدى إليّ قوسًا ممن كنت أُعلِّمه الكتاب والقرآن،

---

* أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

وليست بمال وأرمي عنها في سبيل الله، قال: «إن كنتَ تحب أن تُطَوَّق طوقًا من نار فاقبلها».(٢)

قد روي عبادة بن الصامت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ، وقد أرسله عمر بن الخطاب ﷺ في عهده إلى الشام على رجاء من يزيد بن أبي سفيان وهو أمرها يعلم أهلها القرآن والفقه.

فكتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر قد احتاج أهل الشام إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأرسل معاذا وعبادة وأبا الدرداء، فأقام عبادة بفلسطين.(٣)

وقد ذكره صاحب تهذيب التهذيب مختصرًا فقال: وأرسله عمر إلى فلسطين ليعلم أهلها القرآن فأقام بها إلى أن مات.(٤)

ويقول تلميذه: جنادة بن أبي أمية: إني قد حضرت عبادة – وكان تفقه في دين الله – وإنه كان فقيهًا عالمًا لدين الله، وذهب أبو الأشعث إلى جامع دمشق مرة فوجد به شداد بن أوس وعبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي، فقالا لأبي الأشعث: لنذهب نعد أخانا فقدموا على عبادة بن الصامت وسألوه عن حاله فقال: أصبحت بنعمة من الله وفضله.

وأما الذين رووا عنه الحديث من الصحابة فهم: أبو أمامة الباهلي، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وفضالة بن عبيد، ومن التابعين: أبو إدريس الخولاني، وأبو مسلم الخولاني، وعبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي، وحطان الرقاشي، وأبو الأشعث الصنعاني، وجبير بن نفير، وجنادة بن أبي أمية وغيرهم، كما روى عنه أبناؤه: وليد، وعبد الله، وداود، وكثير من أهل العلم. كما أنهم كلهم أخذوا عنه الفقه، توفي بمدينة رملة في عام ٣٤هـ أو بيت المقدس في ٤٥هـ.(٥)

{يتبع}

(١) طبقات بن سعد: ٣/ ٥٤٦، والإصابة: ٤/ ٢٧.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في كسب العلم، رقم: ٣٤١٦.

(٣) الإصابة: ٤/ ٢٨.

(٤) تهذيب التهذيب: ٥/ ١١٢.

(٥) الإصابة: ٤/ ٢٧ و٢٨.

المدارس في عهد الصحابة رضي الله عنهم

كتبه بالأردية: المؤرخ الإسلامي الشهير فضيلة الشيخ القاضي أطهر المباركفوري/ رحمه الله
نقله إلى العربية: الشيخ عبد الرشيد البستوي٭

حلقة جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه :

كان جابر بن عبد الله الأنصاري أحد حفاظ الحديث الذين أكثروا الرواية، وكان بايع النبي صلى الله عليه وسلم في العقبة الثانية مع أبيه، وكان يستقي المجاهدين الماء في بدر، يقول جابر: إن النبي صلى الله عليه وسلم غزا إحدى وعشرين غزوةً، وإني شهدت في تسع عشرة غزوة منها، كان مفتيًا بالمدينة المنورة وفقيهًا لها، رزقه الله عمرًا طويلا إلا أنه كان قد عمي في آخر أيام حياته، وهناك رواية تفيد بأنه آخر من مات في المدينة المنورة من الصحابة، وكان من عادته الطيبة أنه كان يتحمل مشاق السفر في طلب حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، كما صرح الإمام البخاري : رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد.(١)

ويقول جابر بنفسه عن هذه الرحلة: إني سمعت حديثًا من أحد الصحابة فركبت الإبل إلى الشام، وحضرت باب عبد الله بن أنيس، وقلت لخادمه: قل لعبد الله بن أنيس: إن جابرًا واقف ببابه فتال الخادم من داخل البيت: من هو الجابر؟ هل هو جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، فذكرني لعبد الله بن أنيس فخرج من داره وصافحنا ببشر وحرارة، ثم قلت له:

٭ أستاذ الحديث بجامعة الإمام أنور ديوبند والأمين العام لمنظمة علماء الهند.

وصلت لحديث منك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه أنا منه فحدثني عبد الله بن أنيس ذلك الحديث. (٢)

وكان لجابر حلقة في المسجد النبوي يحضرها الصحابة والتابعون، فيقول هشام بن عروة: كان لجابر بن عبد الله حلقة في المسجد يعني النبوي يؤخذ عنه العلم. (٣)

ويقول عطاء بن أبي رباح: كنا نحضر مجلس جابر نأخذ عنه الحديث ثم نتذاكر، فكان أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي أحفظنا للحديث. (٤)

ذات يوم قال جابر لأصحابه الحضور في مجلسه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فينا يوم الحديبية: أنتم خير أهل الأرض وكنا يومئذ أربع مائة وألفًا. ولو كنت أبصر اليوم لأرأيتكم مكان الشجرة. (٥)

كما كان لجابر حلقة بمكة المكرمة أيضًا حينما يحضرها حاجًا أو معتمرًا، فيقول سفيان بن عيينة: أخذ عن جابر بن عبد الله العلم عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار خلال إقامته بمكة. (٦)

ويقول عبد الله بن عقيل: كنت أحضر أنا وأبو جعفر (محمد الباقر بن علي بن حسين) حلقة جابر بن عبد الله، وبأيدينا ألواح صغيرة نكتب عليها الأحاديث. (٧)

وكانت لدى كثير من أصحاب جابر مجموعات مروياته يروونها منها، فيقول عاصم بن عمر بن قتادة: إني عرضت على الشعبي مجموعة من الأحاديث كتبتها عن جابر بن عبد الله فقال الشعبي: إني قد سمعت عن جابر جميع ما فيها من أحاديث. (٨)

وكانت لأبي سفيان طلحة بن نافع القرشي صحيفة من الأحاديث، فيقول سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة: إن صحيفة أبي سفيان تضم أحاديث جابر بن عبد الله سمعها عنه، كما كانت لدى علماء البصرة مجموعة من أحاديث جابر بن عبد الله، فذهب بها بعض

أهل العلم إلى الحسن البصري فرواها واحتفظ بها. (٩)

كما كانت لقتادة بن دعامة صحيفة من أحاديث جابر بن عبد الله كان يحفظها كما يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، فقال قتادة مرةً لسعيد بن أبي عروبة: خذ بيدك القرآن، وإني أقرأه عليك، فقرأ عليه قتادة سورة البقرة ولم يخطئ في حرف منها ثم قال لسعيد: هل قرأتها عليك في صحة؟ فلما قال نعم، قال له: إني أحفظ صحيفة جابر بن عبد الله أحسن من القرآن الكريم، ورويت هذه الصحيفة عن قتادة، هذا وكان سليمان بن قيس اليشكري يحضر مجلس جابر بن عبد الله وكتب عنه ما سمعه منه من أحاديث في صحيفة، كما كتب عنه كل من أبي سفيان، والشعبي، وأبي الزبير مجموعات من أحاديث سمعوها عن جابر.

هذا وكان جابر بن عبد الله بنفسه يكتب أحاديث من غيره، حتى وإنه كان يجلس إلى أحد أصحابه عبد الرحمن بن سابط الجمحي، وتكتب عنه الأحاديث في الألواح، وهذا كرواية الأكابر عن الأصاغر، وكان عبد الرحمن بن سابط قد روى الأحاديث عن جابر وعن غيره من الصحابة، وكان جابر تكتب عنه تلك الأحاديث. فيقول ربيع بن سعد: إني قد رأيت جابرًا يكتب الأحاديث في مجلس عبد الرحمن بن سابط(١٠) هذا وقد جمع جابر بن عبد الله مجموعة وجيزة عن مناسك الحج رواها الإمام مسلم في صحيحه.

وكان قد عمي جابر في أواخر حياته، وهناك رواية تقول: إنه توفي بالمدينة المنورة في عام ٧٨هـ وهو ابن أربع وتسعين سنةً، وكان قد أوصى إلى أهله بأن لا يصلي عليه الحجاج بن يوسف، وكان أبان بن عثمان أميرًا على المدينة المنورة أيام ذاك، وهو الذي صلى على جابر رضي الله عنه.

حلقة أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها :

كانت أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها من كبار فقهاء

الصحابة، وكانت فاضلة فقيهة يرجع إليها في الحديث والفقه والفتيا والطب والأنساب والأشعار وما إليها من علوم أخرى، يقول محمد بن شهاب الزهري: لو جمع علم عائشة مع علوم أمهات المؤمنين الأخرى كان أفضل وأغزر، ويقول ابن أختها عروة بن الزبير: ما وجدت عالمًا أكبر من عائشة في الفقه والطب والأشعار، ومن المعلوم أن عروة بن الزبير كان أعلم أقرانه في الأشعار وراويًا لها، ولما سئل عن ذلك قال: إن روايته للأشعار وعلمه بها لا يوزن في ميزان بالنسبة إلى عائشة، وكانت عائشة تنشد شعرًا في كل ما يعرض عليها.

ويقول أبو هريرة رضي الله عنه: كلما تعرضت لعويصة في المسائل والأمور الدينية وسألت عنها عائشة وجدت لديها علمًا بها، ويقول مسروق بن الأجدع: رأيت مشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وكان مسروق بن الأجدع إذا حدث عن عائشة قال: حدثتني الصادقة ابنة الصديق حبيبة حبيب الله تعالى المبرأة من فوق سبع سماوات.

ويقول عروة بن الزبير: ما جالست عالـمًا قط كان أكبر علمًا من عائشة في القضاء والحديث وأيام الجاهلية والفرائض والطب، وكان ممن تفقه عليها ابن أخيه: قاسم بن محمد بن أبي بكر، وابن أختها عروة بن الزبير يعملان بفتاواها ولا يخرجان عن رأيها أبدًا، يقول أبو رباح: كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيًا في العامة. ويقول ابن أخيها قاسم بن محمد: كانت عائشة تفتيء الناس طول أيام عمربن الخطاب وعثمان بن عفان إلى أن توفاها الله تعالى، وإني كنت ملازمًا لها، كما جالست كلا من ابن عباس وأبي هريرة وابن عمر وأخذت عنهم جميعًا علمًا جمًا، ويقول محمود بن لبيد: إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الناس حفظًا لحديثه، ولكن عائشة وأم سلمة تفوقانهن، وكانت عائشة تفتي الناس في أمور

دينهم أيام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، كما يرسلان إليها يسألانها عن السنن والأحاديث. (١١)

ولم تكن حلقة عائشة رضي الله عنها كأصحاب النبي الآخرين، بل وإنما تبقى في حجرتها، وكان الصحابة وتابعوهم يسألونها عن الفتيا عن طريق أقاربها كأمثال أبناء إخوتها وأخواتها وخدمها وغيرها من أقاربها، تقول عائشة بنت طلحة بنت أخت عائشة أم المؤمنين وربيبتها: قلت عائشة رضي الله عنها وأنا في حجرها وكان الناس يأتونها من كل مصر، فكان الشيوخ ينتابونني لمكاني منها، وكان الشباب يتأخونني فيهدون إلي، ويكتبون إلي من الأمصار، فأقول لعائشة رضي الله عنها: يا خالة! هذا كتاب فلان وهديته، فتقول لي عائشة رضي الله عنها: يا بنية فأجيبه وأنيبه، فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك، فقالت: فتعطيني. (١٢)

وقد روى عن عائشة الصديقة رضي الله عنها علومها وآثارها كثير من الرجال والنساء، إلا أن قاسم بن محمد بن أبي بكر وهو ابن أخيها، وابن أختها: عروة بن الزبير من بين الرجال، وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية من بين النساء لهم مكانة بارزة في هذا الخصوص، ولذلك نرى عمر بن عبد العزيز يؤكد على جمع أحاديث عمرة، يقول علي بن المديني: إن عمرة بنت عبد الرحمن من التلامذة الثقات لعائشة رضي الله عنها، ويقول المحدث بن حبان: إن عمرة أعلم الناس بأحاديث عائشة الصديقة رضي الله عنها، ويقول سفيان الثوري: إن عمرة وقاسمًا وعروة من أثبت الناس وأوثقهم في أحاديث عائشة، وكان أبناء قاسم بن محمد يسألون عمرة عن أحاديث عائشة.

هذا وقد تفقه على عائشة رضي الله عنها جماعة من كبار الصحابة وروى عنها، واشتهر من بينهم: عمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعري، وزيد بن خالد الجهني، وأبو هريرة، وابن عباس، وربيعة بن عمرو الجوشي، والسائب بن يزيد، وحارث بن عبد الله بن نوفل

وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، كما تفقه عليها وروى عنها عدد كبير من كبار التابعين، أمثال سعيد بن المسيب، وعلقمة بن قيس، وعمرو بن ميمون، ومطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد النخعي.

وكان ابن عمر السائب قاضي المدينة المنورة وواعظها، فقالت له عائشة ناصحة له: عليك أن تعمل بثلاثة أمور: تجنب السجع في الدعاء؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يكونوا يأنون به، ولا تأت بعمل يسأم الناس لأجله القرآن الكريم، وإذا أتيت قومًا وهم في حديث فلا تقطع عليهم، بل ودعهم وشأنهم، فإذا طلبوا منك فحدثهم.

توفيت عائشة في رمضان عام ٥٨هـ عن عمر يناهز ٦٧ عامًا، وصلى عليها أبو هريرة، ودفنت بالبقيع، رضي الله عنها وأرضاها. (١٣) {يتبع}

---

(١) صحيح الإمام البخاري، ج: ١، باب الخروج في طلب العلم.

(٢) كتاب العلم، جامع بيان العلم: ١/ ٩٣.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٢٢٣ وتهذيب التهذيب: ٢/ ٤٣.

(٤) تذكرة الحفاظ: ١/ ١١٩.

(٥) صحيح البخاري: ٢/ ٢٩ كتاب المغازي

(٦) تذكرة الحفاظ: ١/ ٤١.

(٧) سير أعلام النبلاء: ٤/ ١٠٣، وتهذيب التهذيب: ١/ ٣٧٧..

(٨) المحدث الفاضل ص: ٤٣.

(٩) الكفاية في علم الرواية ص: ٣٥٤، وتهذيب التهذيب: ١: ٣٧٧.

(١٠) جامع بيان العلم: ١/ ٧٢.

(١١) طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٧٥، والإصابة: ٨/ ١٤٠، وإعلام الموقعين: ١/ ١٧، وتهذيب التهذيب: ١٢/ ٤٣٥، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٣٧.

(١٢) الأدب المفرد، باب الكتابة إلى النساء وجوابهن.

(١٣) تهذيب التهذيب: ١٢: ٤٣٣.